

إبراهيم بن عبد الله الدويش

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

ح دار الفنون للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدويش ، ابراهيم بن عبد الله بن صالح

الأنقياء – جدة.

٨٢ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك ٢-٤-٩١٦٦-٩٩٦٠

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الفضائل الإسلامية أ – العنوان

ديوي ٢ ، ٢١٢ ٢٠/٠٩٨١

رقم الإيداع : ٢٠/٠٩٨١

ردمك : ٢-٤-٩١٦٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ

أحمد الله وأشكره وأثني عليه واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ولا رب لنا سواه ولا معبود بحق إلا إياه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسحبه ومن والاه.

وبعد فقد قرأت هذه الرسالة القيمة التي بعنوان (الأنقياء) جمعها وصنفها أخونا الشيخ إبراهيم الدويّش ولقد أجاد فيها وأفاد وبين الكثير من أهل هذا الزمان الذين امتلأت قلوبهم من الحقد والغل والحسد على إخوانهم الصالحين من عباد الله الذين أصلحوا أعمالهم وأخلصوا لربهم وقاموا بواجبهم وعبدوا الله وحده ولم يظهر منهم ما يخل بالشرف أو يقدح في العدالة أو ينافي المروءة فأخذوا يكيلون لهم التهم ويسيئون بهم الظن ويتتبعون عثراتهم فيجعلون من الحبة قبة ويحملون كلامهم على أبعد المحامل حسداً من عند أنفسهم :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كغرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً أنه لدميم

وقد قال النبي ﷺ يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المؤمنين ولا تتبعوا عوارتهم فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته (ذكره في جامع الاصول ٦/٦٥٣ بعدة روايات) وقد ظهر من الصور التي ذكرها في هذا الكتاب ما كا عليه السلف رحمهم الله تعالى من محبة اخوانهم ونقاء لقوبهم وصفاء مودتهم وتغاضيهم عن هفواتهم وزلاتهم وسترهم لعوراتهم وذكرهم لمحاسنهم وكفهم عن مساوئ اخوانهم والتماس العذر لهم والحث على المودة وصدق المحبة لهم وذلك هو دأب المؤمنين المحسنين في كل زمان ومكان فعسى أن يتراجع إخواننا في هذا الزمان ويتوبوا إلى ربهم وينقوا قلوبهم لكل مسلم حي أو ميت ويترحموا على أموات المسلمين وينشروا محاسنهم ويحذروا من أخطائهم مع الاعتذار عنهم بقدر الإمكان فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

التوقيع ٣ / ٣ / ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأشكره وأثني عليه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ولا رب لنا سواه ولا معبود بحق إلا إياه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد فقد قرأت هذه الرسالة القيمة التي بعنوان (الأنقياء) جمعها وصنفها أخونا الشيخ إبراهيم الدويش ولقد أجاد فيها وأفاد وشبه الكثير من أهل هذا الزمان الذين امتلأت قلوبهم من الحقد والغل والحسد على إخوانهم الصالحين من عباد الله الذين أصلحوا أعمالهم وأخلصوا لربهم وقاموا بواجبهم وعبدوا الله وحده ولم يظهر منهم ما يخل بالشرف أو يقدح في العدالة أو ينافي المروءة فأخذوا يكيلون لهم التهم ويسيئون بهم الظن ويتتبعون عثراتهم فيجعلون من الحبة قبة ويحملون كلامهم على أبعد المحامل حسداً من عند أنفسهم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً إنه لدميم

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته ذكره في جامع الأصول ٦/٦٥٣ بعدة روايات وقد ظهر من الصور التي ذكرها في هذا الكتاب ما كان عليه السلف رحمهم الله تعالى من محبة إخوانهم ونقاء قلوبهم وصفاء مودتهم وتغافلهم عن هفواتهم وزلاتهم وسترهم لعوراتهم وذكرهم لمحاسنهم وكفهم عن مساوئ إخوانهم والتماس العذر لهم والحث على المودة وصدق المحبة لهم وذلك هو دأب المؤمنين المحسنين في كل زمان ومكان فعسى أن يتراجع إخواننا في هذا الزمان ويتوبوا إلى ربهم وينقوا قلوبهم لكل مسلم حي أو ميت ويترحموا على أموات المسلمين وينشروا محاسنهم ويحذروا من أخطائهم مع الاعتذار عنهم بقدر الإمكان فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

١٤١٩/٣/٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الأحبة، عنوان هذا اللقاء[2] وهذا الموضوع هو «**الأنقياء**» أو إن شئت فقل: «**سلامة الصدر مطلب**» وهذا الموضوع هو ثالث ثلاثة. فقد سبقه درس بعنوان: «**الأخفياء**» وسبقهما درس آخر بعنوان: «**الأتقياء**»، وإن

---

(١) هذه هي خطبة الحاجة مع زيادة الآيات الثلاث، أخرجها مسلم برقم (٨٦٨) وأحمد ٣٩٢/١، ٤٣٢ وابن ماجه برقم (١٨٩٢)، وأبوداود برقم (٢١١٨) والترمذي (١١٠٥) والنسائي (١٤٠٤) و(٣٢٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أصل هذه الرسالة درس ألقي في مدينة الرس في ٤/ ١٢/ ١٤١٤هـ.

ضمن سلسلة الدروس العلمية العامة والتي ينظمها المكتب التعاوني بالرس.

كان درسا «الأتقياء والأخفياء» أصلهما هو حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[1] كما تقدم بيانه في الموضوعين السابقين، فإن أصله هذا الموضوع أيضاً هوحديث أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الورع والتقى من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال ﷺ: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال ﷺ: «**هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**»[2] وقال البوصيري في الزوائد[3]: «إسناده صحيح

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٥)، وأحمد (١/١٦٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢١٦) والبيهقي في الشعب (٥/٢٦٤) برقم (٦٦٠٤)، وعزاه الزبيدي كما في تخريج الإحياء (٤/١٥٤٢) للطبراني في الكبير، وأبي نعيم في الحلية وأحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً.

(٣) مصباح الزجاجة للبوصيري ٣/٢٩٩.

ورجاله ثقات». والحديث أيضاً أخرجه الطبراني في معجمه، وأبونعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وفيه زيادة، وذكره الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع[1].

ومعنى مخموم: من خممت البيت إذا كنسته. ولذلك بين النبي ﷺ في هذا الحديث: أن النقي هو الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.

فقلت في نفسي وأنا أتدبر هذا الحديث: ما أحوجنا لمثل هذا النقي في مثل هذا الزمن الذي اتصف بكثرة الخلاف والنزاع والفرقة، فامتلأت النفوس وأُوغرت الصدور، فلا تسمع إلا كلمات التنقص والازدراء وسوء الظن والدخول في النيات والمقاصد فما هي النتيجة:

«إن خوطبوا كذَّبوا.. أو طولبوا غضبوا.. أو حوربوا هربوا.. أو صوحبوا غدروا.. على أرائكهم سبحان خالقهم.. عاشوا وما شعروا.. ماتوا وما قبروا».

إذاً فالنتيجة، أصبح المسلمون أحزاباً ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا

---

(١) انظر الصحيحة رقم (٩٤٨) وصحيح الجامع (٣٢٩١).

لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(١) لا بل كل حزب من الآخر ينتقصون، فلا نسمع سوى تقسيم الناس وتصنيفهم. ففرح المنافقون وهم لها باذرون وساقون وراعون. وصدق الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢). وأستغفر الله أن أعمّ، ولكنها فتنة طمت وعمت. فأقول ما أحوجنا لمثل هذا النقي، فأخذت أقلب صفحات السير والتراجم للوقوف على حياة أولئك الأنقياء وتتبع أحوالهم وصفاتهم، فوجدت العجب، ومن العجب الذي وقفت عليه أن من صفاتهم أنهم حرصوا ـ رضوان الله تعالى عنهم ـ على تنقية قلوبهم من الحقد والحسد.

فالأنقياء لا يعرفون الانتقام ولا التشفي، ويتجاوزون عن الهفوات والأخطاء.

الأنقياء يتثبتون ولا يتسرعون.

الأنقياء سليمة قلوبهم نقية صدورهم.

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الأنقياء يحبون العفو والصفح وإن كان الحق معهم.

الأنقياء ألسنتهم نظيفة، فلا يسبون ولا يشتمون.

الأنقياءصفاء في السريرة ونقاء في السيرة. دعاؤهم: «اللهم قنا شح أنفسنا، اللهم قنا شح أنفسنا» ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وستقرأ كثيراً من المواقف التي تبرهن على ما أقول. ولكن خاطب النفس وقل لها:

ويحـــك يـــا نفـــس احـــرصي
على ارتيـــــاد المَخْلَـــــصِ
وطــــاوعــــي وأخلصي
واستمعــــي النصــــح وعــــي
واعتبري بمــــن مضــــى
مــــن القــــرون وانْقَضَــــى
واخشي مفــــاجــــأة القضــــا
وحــــاذري مــــن أن تخــــدعــــي

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

لماذا الحديث عن الأنقياء؟

أخـي الحبيب: أيها الأخ المسلم يا من نلتقي وإياك على لا إله إلا الله. أدعوك وأنت تقرأ هذه الكلمات، أدعوك إلى التجرد من الهوى وترك حظوظ النفس. تجرد من حب التصدر والزعامة. تجرد من التعالم، وتجرد من الكبرياء والغرور ومن الحقد والحسد، تجرد من كل الأمراض القلبية. فإنني أريدك أن تقرأ كلماتي بقلب سليم، بقلب ذلك المسلم الطيب التقي النقي، فأنت خُلقتَ لعبادة الله ومرضاته وطلباً لجناته.

أيجوز يا أخي الحبيب لمن كان هذا هو هدفه ومقصده من هذه الدنيا أن يغفل عن قلبه فيطلق لهذه المضغة العنان في البغضاء والشحناء، والانتقام والتشفي.

أخـي الحبيب أيها المسلم: لماذا أصبحنا نسمع كلمات الذم أكثر من سماعنا لكلمات الثناء؟! لماذا أصبحنا نسمع كلمات التنقص أكثر من سماعنا لكلمات التثبت؟! كيف

غفلت عن هذه المضغة التي «**إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»[(١)].

---

(١) جزء من حديث عند البخاري برقم (٢٠٥١،٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وأحمد (٤/٢٦٩ ـ ٢٧٠) وأصحاب السنن الأربعة.

ماذا نريد؟

سلامة الصدر، طهارة القلب، صفاء النفس: كلمات نادرة الاستعمال وعزيزة الذكر، لا نكاد نسمعها في مجالسنا ومنتدياتنا. موضوعات كثيرة تلك التي نتحدث عنها لكنها لا تخلو من غيبة ملبَّسة بلباس النصيحة، أو من حديث يشفي الغليل ويُرضي الخليل، أو من همز ولمز وانتصار للنفس. فيا من في قلبك خوف من الله عز وجل: إننا نُريد أن نسمع كلمات الحب والإخاء، والصدق والوفاء، والنصح والصفاء، نريد أن نسمع كلمات الشكر والعرفان، وذكر الفضل والإحسان، نريد أن نسمع عن جمع القلوب، وعن توحيد الكلمة، وعن الإصلاح بين الناس، وكل ذلك وللأسف في مجالسنا عزيز. إنني أصغي سمعي لعلي أسمع إلى التماس الأعذار، وذكر محاسن الأبرار، فيرتد سمعي خاسئاً وهو حسير ـ إلا ما شاء الله ـ، ولكني كلي أمل فيكم يامن تقرأون كلماتي، وأملي في الله، ثم في مشايخي وأساتذتي وإخواني الدعاة وشباب الصحوة خاصة، وجميع المسلمين

عامة، كلي أمل أن نهضم أنفسنا ونعرف قدرها، وأن نحمل على عاتقنا نشر هذا الموضوع ـ سلامة الصدر ـ وإكثار الحديث عنه وتكراره في كل مكان وعلى كل لسان، لا نمل الحديث عنه أبداً، بل نجعله شعاراً لنا في كل ميدان: في ميدان العلم، وفي ميدان البيع والشراء، وبين الرجال والنساء، وبين العامة والخاصة. في مدارسنا وفي جامعاتنا، في أسواقنا، في مجالسنا وبيوتنا. فلنملأ قلوبنا بخوف الله عز وجل، وحب الخير للآخرين، فإننا نشعر بقسوة القلب وامتلاء النفس، وجفاف العين من الدمع. ليكن هجير كل واحد منا: اللهم إني أسألك قلباً سليماً. ولنردد كثيراً وفي كل لحظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[١].

هذا ما نريد، فهل نستطيع؟ لنحاول ولنجاهد أنفسنا، فإن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم. ولعل هذه الأسطر تكون عوناً لك، نسأل الله العون للجميع.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

● **عناصر هذا الموضوع:**

ـ ثلاثة قبل البداية.

ـ القرآن يدعوك.

ـ صور مشرقة في عالم الصفاء والنقاء.

ـ تكامل الشخصية في حياة السلف.

ـ نتائج سلامة الصدر ونقاوة القلب وآثاره.

ـ أسباب امتلاء الصدر وغل القلب، وكيف السبيل إلى سلامة الصدر وتنقية القلب.

ـ ثلاثة قبل النهاية.

ثلاثة قبل البداية

● أما ثلاثة قبل البداية، فتنبه لها جيداً، وأرعني قلبك ـ بارك الله فيك ـ

فالأولى: راجع نفسك بعد قراءة هذه الكلمات، واعلم أن الكلام موجه إليك لا لغيرك وأرجو أن تتهم نفسك، واحسب أن الآخرين من المسلمين خير منك عند الله تعالى: «**فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره**»[(١)].

لا تنظر إلى نفسك بنظرة الزهو والفخر والارتفاع، فكم من مسكين خير منك عند الله، وكم من عامي هو خير منك عند ربك ربما، بينما أنت مازلت تنظر لنفسك في عجب وفي كبر والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٢٨)، وعند الترمذي (٣٨٥٤) بلفظ «كم من أشعث أغبر» وصححه الألباني في مشكلة الفقر برقم (١٢٥).

يا أخي الحبيب: أما سمعت لقول بكر بن عبدالله المزني - وهو واقف بعرفة ينظر إلى الناس - لا إله إلا الله لولا أني فيهم لقلت قد غفر الله لهم [1].

يقول الذهبي معلقاً على هذه العبارة في السير [2]. «كذلك ينبغي للعبد أن يُزري على نفسه ويهضمها». اهـ.

الأمر الثاني: اعلم أن سلامة الصدر وتنقية القلب مطلب عزيز، والحرص عليه واجب، وبذل الأسباب إليه وسلوك طريقه متعين. ولكن لا تنس أن الناس بشر، وأن النفس ضعيفة. فلابد من الخطأ، ولابد للنفس أن تتأثر فتنبه لهذا، وعامل الآخرين بحسبه. ولهذا يقول سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى -: «إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه وُهِب نقصه لفضله» [3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٢٠٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٥٣٤).
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٨١)، والبداية والنهاية لابن كثير =

سـامـح أخـاك إذا خلـط
منـه الإصـابـة بـالغلـط
وتجـاف عـن تعنيفـه
إن جـاف يـومـاً أو قسـط
واعلـم بـأنـك إن طلبـ
ـت مهـذبـاً رمـت الشطـط
مـن ذا الـذي مـا سـاء قـط
ومـن لـه الحسنـى فقـط

ثالثاً: لست بالخب ولا الخب يخدعني [1].

لا ينافي سلامة القلب والأخذ بالظاهر، ولكنه يعني الحيطة والحذر، فعليك أن تكون فطناً منتبهاً. فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [2] ويقول

= (٩/١٠٧) سنة(٩٤)هـ.

(١) هذه الجملة مما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: سراج الملوك للطرطوشي ص٥٦، والروح لابن القيم: ت الجميلي ص ٣٦٢ في باب «الفرق بين سلامة القلب والبله».
(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[١] .

بعد هذه الثلاثة والتي أرجو أن تنتبه لها جيداً لتراجعها في نفسك فكلنا بحاجة لها أقول :

● إن القرآن يدعونا جميعاً، يدعونا في أكثر من سورة وفي أكثر من آية لمثل هذا الموضوع. إن قرآننا هو كلام ربنا وهو دستور حياتنا، وهو منبع صفائنا، وميزاننا الذي نحتكم إليه عند خلافنا، بل في حياتنا وأمورنا.

وها هو القرآن يدعوك لبراءة القلب من الغل للذين آمنوا. ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٢] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[٣] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الروم، الآية : ٦٠ .
(٢) سورة الحشر، الآية : ١٠ .
(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٩٩ .
(٤) سورة البقرة، الآية : ١٠٩ .

والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٢] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾[٣] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[٤] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥] . والقرآن يدعوك فيقول : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٦] . وأخيراً القرآن يا أخي الحبيب يدعوك فيقول : ﴿ وَلْيَعْفُوا

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١٣ .
(٢) سورة التغابن، الآية : ١٤ .
(٣) سورة الحجر، الآية : ٨٥ .
(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٦٣ .
(٥) سورة آل عمران، الآية : ١٣٤ .
(٦) سورة الشعراء، الآية : ٨٩ .

وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(١) «ألا تحبون أن يغفر الله لكم»؟ بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا ربنا، قالها أبوبكر الصديق(٢) ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ مع سخاء نفسه وسلامة صدره ونصحه للأمة، فماذا نقول نحن وهذه حالنا مع قلوبنا؟!

أخي الحبيب: هلاّ وقفت مع هذه الآيات وتدبرتها جيداً. إن القرآن يدعوك ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٣) أسمعت جيداً هذه الآيات؟! تدبرها وقف معها طويلاً فكم من الخلاف يقع بيننا وبين أصحابنا، وكم من المشاجرات والخصومات تقع بيننا وبين الناس، وإذا رجعنا للقرآن وجدنا هذه الآيات

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) قالها أبوبكر الصديق في قصة الإفك التي أخرجها البخاري برقم (٤٧٥٠، ٤١٤١) وانظر أطرافها فيه (٢٥٩٣)، ومسلم (٢٧٧٠) والترمذي برقم (٣١٨٠) وانظر السيرة لابن هشام (٢/ ٢٩٧، ٣٠٧) وزاد المعاد (٣/ ٢٥٨).

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

تحدونا إلى العفو والصفح عن المؤمنين وعن الناس ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١). تدبر قوله: ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فما أعظم هذا الأجر فهو من مالك الملك جلا وعلا. فلما تحرم نفسك هذا الأجر؟!!

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

صور مشرقة في عالم الصفاء والنقاء

قلَّبتُ صفحات التاريخ ونظرت في كتب السير والتراجم. فوجدت عجباً! فيعلم الله إن العين لتدمع والإنسان يقرأ مثل هذه المواقف. يا للعجب! أهؤلاء بشر؟!! ما أنقى قلوبهم؟! وأين قلوبنا من هذه القلوب؟!

وقبل أن أبدأ وإياك بذكر هذه الصور لا تنس أن من أراد فهم هذه الدرجة من تنقية القلب وسلامة الصدر كما ينبغي فلينظر أولاً إلى سيرة النبي - ﷺ - مع الناس يجدها مليئة، بل يجد هذه الدرجة بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه - ﷺ -[(١)].

- ثم تعال للصورة الأولى: (وهي التي لا تطاق).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال: كنا جلوساً مع النبي - ﷺ - فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من**

(١) انظر الشمائل المحمدية للترمذي، وأخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ الأصبهاني، والشفا للقاضي عياض. وغيرها.

أهله الجنة». فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال. فلما كان من الغد قال رسول الله - ﷺ - مثل ذلك، فطلع الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ - مثل مقالته أيضاً.

فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام رسول الله - ﷺ - تبعه عبدالله بن عمرو - أي تبع الرجل - فقال للرجل: إني لاحيت أبي - أي وقع بيني وبين أبي خصومة - فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تأويني إليك حتى تمضي، فعلتُ. قال الرجل: نعم. قال أنس: فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار (تقلب على فراشه) ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله. قلت: ياعبدالله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لك ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**»، فطلعتَ أنتَ الثلاث مرات. فأردت أن آوي إليك لأنظر ما

عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ـ ﷺ ـ. قال ـ أي الرجل ـ: ما هو إلا مارأيت. قال عبدالله: فلما وليتُ دعاني فقال الرجل: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبدالله: فهذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا تطاق»[١].

---

(١) رواه أحمد (٣/١٦٦) وفي الفتح الرباني (١٦/٢٣٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤٩٣ برقم (٨٦٣) والزهد لابن المبارك ص ٢٤١، وعبـدالـرزاق (١١/٢٨٧) والطبراني في مكـارم الأخلاق برقم (٧٢). والبزار كما في كشف الأستار (٢/٤٠٩) (١٩٨١) والبيهقي في الشعب (٥/٢٦٤ ـ ٢٦٥). وانظر مجمع الزوائد. قال المنذري في الترغيب (٣/٥٤٩) ت: «عمارة»: «إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم والنسائي». وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/١٨٣٦) برقم (٢٩١٤): «رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين». وأعلّه الحافظ المزي في تحفة الأشراف (١/٣٩٥). وكذا ابن حجر في النكت عليها إذ قال: «وقد ظهر أنه معلول». =

قـال ابـن كثير: رواه النسـائـي في اليـوم والليلـة عـن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به. وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس. فالله أعلم[١].

أسمعت أيها الأخ الحبيب: «غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه».

إن قلب المؤمن المطمئن بذكر الله، النابض بحلاوة الإيمان، لا يحتمل أبداً أن يحمل بين جنباته حقداً على أحد من المسلمين. إنّ من كان في قلبه إيمانٌ صادقٌ، لا يحتمل أبداً أن يحمل حقداً على أحد من إخوانه. أرأيتم معاشر الإخوة: كيف أن تنقية القلب، وتنقية الصدر من الغل والأحقـاد والحسـد والغـش للمسلمين، كيـف كـان سببـاً

= أما تعيين الصحابي ففيه كلام طويل يراجع تخريج العراقي السابق، وكتاب الرسول المعلم ص ١٨٠ ـ ١٨١ لأبي غدة.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٢٧)، سورة الحشر، الآية: ٩.

لدخول الجنة. هذا الرجل لم يكن يقوم الليل، ولم يكن له كبير عمل، ولكن العمل الذي كان سبباً في دخوله الجنة: هو أنه لا يجد في نفسه حسداً لأحد. وليس في قلبه غشٌّ على أحد من المسلمين. الله أكبر! متى تتحقق هذه الصفة في المسلم الذي يركع ليله ونهاره طالباً مرضاة الله وطالباً جنان الفردوس! أين العُبَّاد؟ أين الزُّهَّاد من هذا الفعل؟ كم نجاهد أنفسنا على الصلوات والصدقات والصيام وغيرها من الأعمال والعبادات. ولكن الأمر ليس بكثرة صيام ولا صلاة ولا صدقة، إنما بشيء وقر في القلب: الصدق مع الله، وسلامة الصدر، وتنقية هذا القلب من الغل والحقد والغش للمسلمين.

الصورة الثانية:

(أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟)

أخرج أبوداود في الأدب باب: في الرجل يحل الرجل قد اغتابه، والطبراني في مكارم الأخلاق باب: فضل كظم الغيظ. وأخرجه أيضاً ابن السني في عمل اليوم والليلة باب: ماذا يقول إذا أصبح. ثلاثتهم من حديث قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم. قالوا: ومن أبوضمضم يا رسول الله؟ قال: «**رجل كان إذا أصبح يقول: اللهم إني قد وهبت نفسي وعرضي. فلا يشتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه**» هذا لفظ الطبراني وابن السني وهو ضعيف. وأخرجه أبوداود من وجه آخر موقوف على قتادة. وأخرجه البخاري أيضاً في التاريخ في ترجمة محمد بن عبدالله

العمي[١]. وقال ابن حجر[٢]: «وقد أخرجه أبوبكر البزار

---

(١) لهذا الحديث أربع طرق:
ـ الأول: ما رواه أبو داود برقم (٤٨٨٧) والعقيلي ٤/ ٩٣ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت ـ أي البناني ـ عن عبدالرحمن بن عجلان مرسلاً.
ـ الثاني: مارواه أبو داود برقم (٤٨٨٦) من طريق عمر عن قتادة من قوله.
ـ الثالث: ما أخرجه البخاري في تاريخه (١/ ١٣٧) والعقيلي (٤/ ٩٣) والبزار من طريق محمد بن عبدالله العمي ثنا ثابت عن أنس مرفوعاً.
ـ الرابع: ما أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق برقم (٥٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٥) من طريق عمران عن قتادة عن أنس مرفوعاً.
قال أبو داود في سننه: وحديث حماد أصح. يعني الطريق الأول.
وقال ابن حجر في نتائج الأفكار ٢/ ٣٩٥: فتحصلنا من ذلك على أن الطريقين الموصولين (يعني الثالث والرابع) شاذان، وأن المحفوظ عن قتادة مقطوع (أي الطريق الثاني) وعن ثابت مرسلاً (أي الطريق الأول).

(٢) تنبيه: القائل هنا: ابن حجر، وقد ذكرته في الشريط من قول البخاري، وهو سهو مني لتداخل الكلمات، نبهني إليه أحد الإخوة الفضلاء جزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

في مسنده والعقيلي ـ أي في الضعفاء ـ وكذلك الساجي والبيهقي في الشعب»[١]. وقال الألباني في الإرواء عن هذا الحديث: «والمحفوظ عن قتادة. وإسناده صحيح إلى قتادة»[٢] ثم ذكره في صحيح أبي داود وقال: «صحيح مقطوع»[٣].

أرأيت صفة أبي ضمضم هذا. اسمع ماذا قال عنه ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: والجود عشر مراتب. ثم ذكرها. فقال: والسابعة: الجود بالعِرْضِ. كجود أبي ضمضم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كان إذا أصبح قال: اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل. فقال النبي ﷺ: «**من يستطيع أن يكون منكم كأبي ضمضم**». وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب من معاداة الخلق ما فيه[٤].

---

(١) نتائج الأفكار (٢/ ٣٩٤).
(٢) إرواء الغليل للألباني (٨/ ٣٣).
(٣) صحيح أبي داود (٣/ ٩٢٤).
(٤) في المدارج (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥) ت: الفقي.

الصورة الثالثة:
(ما عندي إلا عرضي)

وقد أخرج هذا الحديث البزار كما في كشف الأستار في كتاب الزكاة باب: فيمن تصدق بعرضه. وانتبه أيضاً للترجمة «باب: فيمن تصدق بعرضه». أخرجه من حديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ حث يوماً على الصدقة. فقام علبة بن زيد. فقال: ما عندي إلا عرضي - فإني أشهدك يا رسول الله أني تصدقت بعرضي على من ظلمني ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ: «**أين علبة بن زيد**»؟ قالها مرتين أو ثلاثاً. قال: فقام علبة. فقال: «**أنت المتصدق بعرضك قد قبل الله منك**»[(١)].

---

(١) كشف الأستار (١/ ٤٥٥) برقم (٩٥٨) والخطيب في الأسماء المبهمة ص ٢٣٥ برقم (١١٨) والمستفاد لابن العراقي (١/ ٥٠٥) برقم (١٨٩) والإصابة لابن حجر (٤/ ١١٢)، (٢/ ٥٠١).

قال الهيثمي[(١)]: «رواه البزار وفيه كثير بن عبدالله وهو ضعيف». وأيضاً رواه البزار من حديث صالح مولى التوأمة عن علبة بن زيد قال: حث رسول الله ﷺ على الصدقة. فقام علبة فقال: يا رسول الله: حثثت على الصدقة وما عندي إلا عرضي. فقد تصدقت به على من ظلمني. قال: فأعرض عنه. فلما كان اليوم الثاني. قال: **أين علبة بن زيد، أو أين المتصدق بعرضه، فإن الله تبارك وتعالى قد قبل ذلك منه**»[(٢)]. أو نحو ذلك. وهذا أيضاً قال عنه الهيثمي: «رواه البزار وفيه محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف». كما في مجمع الزوائد.

ولحديث علبة شاهد صحيح إلا أنه لم يُسم فيه. ذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٠٠) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة «أن رجلاً من

---

(١) مجمع الزوائد (٣/ ١١٤). والصواب أنَّ «كثيراً» هذا متروك كذَّبه الشافعي وأبوداود وابن حبان.

(٢) كشف الأستار (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) برقم (٩٥٩).

المسلمين قال: «اللهم إنه ليس لي مال أتصدق به، وإني جعلت عرضي صدقة». قال: فأوجب النبي ﷺ أنه قد غُفر له»[١].

إذاً: فانظر لحال صحابة رسول الله ﷺ، هذا أبوضمضم، وهذا علبة بن زيد، وغيرهم كثير كانوا يتصدقون بأعراضهم ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ يعفون ويصفحون عمن سبهم أو شتمهم أو ضربهم أو اغتابهم أو ذكرهم في شيء لا يرضونه. فماذا نقول عن أنفسنا أيها الأحبة.

---

(١) قال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٤/ ١١٢) بهامش الإصابة: أظنه أباضمضم قال ابن حجر: وما توهماه ـ ابن عبدالبر والحاكم أبوأحمد ـ من أن الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبوضمضم خطأ، بل هو علبة بن زيد الأنصاري.

الصورة الرابعة:

(بئس ما قلت، والله ما نعلم إلا خيراً)

هذه المقالة قالها معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ دفاعاً عن كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، قال كعب: لما بلغ النبي ﷺ تبوك ذكرني وقال ما فعل كعب؟ فقال رجل من قومي: خلفه يا نبي الله برداه والنظر في عطفيه. فقال معاذ بن جبل ـ وكان حاضراً فسمع ـ: «بئس ما قلت والله ما نعلم إلا خيراً»[١].

أسمعت هذا الموقف، لقد كان بإمكان معاذ رضي الله عنه السكوت تأدباً أمام رسول الله ﷺ ولن يعيب عليه النبي ﷺ سكوته، ولكنه أعلن الحق الذي امتلأ به قلبه. لم يطق معاذٌ أن يسمع هذه الكلمات بأخيه كعب، فأعلن الحق

---

(١) هذا جزء من حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك وتوبته. أخرجه البخاري مطولاً برقم (٤٤١٨) وانظر أطرافه في حديث رقم (٢٣٠٧).

الذي في قلبه. انتصاراً لكعب بن مالك ـ رضي الله عنهما جميعاً ـ إنه الدفاع والذب عن عرض أخيه، فمن منا وقف مثل هذا الموقف؟ كم نسمع في مجالسنا وفي منتدياتنا من يذكر فلاناً وعلاناً من إخواننا من المسلمين ممن يصلي ويصوم ويشهد ألا إله إلا الله، نسمع الكلمات التي تُذكر في عرضه. فمن منا وقف مثل هذا الموقف؟ بل ربما أن البعض يتلذذ بالسماع، ويأنس بمثل هذه الكلمات ـ عياذاً بالله ـ ولكن صحابة رسول الله تربوا على هذا المنهج، إنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، ودمه، وماله**»[1]. فعلموا حرمة ذلك. وعن أبي الدرداء أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**من ردّ عن عرض أخيه، ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**» كما أخرجه الترمذي[2] في سننه

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٩٣١) وقال حديث حسن قال الألباني: وهو كما قال «إن شاء الله» غاية المرام ص ٢٤٧ وصححه في صحيح الجامع برقم (٦٢٦٢).

في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الذب عن المسلم، وإسناده صحيح[1].

ـ واسمع لهذا الموقف، قال حنبل بن إسحاق: سمعت ابن معين يقول: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً فيه أسماء شيوخ، فلان رافضي وفلان كذا ووكيع رافضي. فقلت ـ أي يحيى بن معين ـ لمروان: وكيع خير منك. قال مروان: مني؟! ـ استفهام تعجب ـ قلت: نعم. قال: فسكت. ولو قال لي شيئاً لوثب أصحاب الحديث عليه. قال ـ أي يحيى ـ: فبلغ ذلك وكيعاً فقال وكيع: يحيى صاحبنا. وكان بَعْدَ ذلك يعرف لي ويرحب[2].

انظر أثر الدفاع عن العرض في قلب وكيع ـ رحمه الله تعالى ـ أصبح يحيى بن معين حبيباً إلى قلبه، أصبح يرحب به كثيراً. هكذا يكون جمع القلوب. هكذا إذا أردنا أن نحبب

---

(١) صحيح الترمذي (٢/١٨١) للألباني.

(٢) ميزان الاعتدال (٤/٣٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٩/١٥٤) وعزاه محققه إلى تاريخ بغداد ١٣/٤٧٠.

النفوس بعضها ببعض. هكذا إذا أردنا أن نرص الصفوف في وجوه أعدائنا. أن يعلم كل فرد منا أنه محام عن أعراض إخوانه المسلمين في كل مكان. في أي مجلس كان وأمام كائن من كان مهما بلغ من المرتبة والشرف. مادام أنه تجرأ على عرض أخ من إخواننا المسلمين. يجب أن أقف وأذب عن عرض هذا المسلم، هكذا يكون الإنسان محبوباً عند الناس، لا، بل هكذا يكون محبوباً عند الله قبل كل شيء، ومن أحبه الله أحبه الناس.

الصورة الخامسة:

(سررتيني سرَّكِ الله)

ذكر الذهبي[١] في السير بسنده إلى عوف بن الحارث أنه قال: سمعت عائشة تقول: دعتني أم حبيبة ـ أي زوجة رسول الله ﷺ عند موتها ـ فقالت: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت ـ أي عائشة ـ غفر الله لك كله وحللك من ذلك فقالت أم حبيبة: سررتيني سرَّكِ الله. تقول عائشة: وأرسلت أم حبيبة إلى أم سلمة. فقالت لها مثل ذلك[٢].

انظر تصافي القلوب بين أمهات المؤمنين، ما أحلى هذه القلوب إذا اجتمعت على المحبة، وحرصت على تنقية

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ١٠٠)، والمستدرك للحاكم (٤/ ٢٢ ـ ٢٣).

القلوب من الغل والحقد والحسد.

أقول: كم نسمع نساءنا يتحدثن في المجالس عن فلانة وعلانة، ولربما كالت لها كثيراً من السب والشتم ـ عياذاً بالله ـ إنها تتكلم عن مسلمة، وعائشة رضي الله عنها لما أشارت إلى رسول الله ﷺ، بيدها فقط عن صفية أنها قصيرة. قال: «**ألا إنك قلت كلمة ـ أو فعلت فعلا ـ لو مزج بماء البحر لمزجته**[١]». فقط تعني أنها قصيرة. فهلا تنبَّه لهذا الأمر نساؤنا فكم من الحسنات تذهب، وكم من السيئات تكتب في مثل هذه الكلمات؟!!

(١) رواه أبوداود برقم (٤٨٧٥) والترمذي برقم (٢٥٠٢) وأحمد (١٨٩/٦) وصححه الألباني في غاية المرام رقم (٤٢٧) وفي صحيح الجامع.

الصورة السادسة:
(إذن تقع في الشغل)

صورة قصيرة لكنها كبيرة المعاني. قال رجل لعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «والله لأتفرغن لك». ـ يعني بالكيد والتشفي والانتقام وغير ذلك ـ فماذا كان رد عمرو؟ فقال عمرو بن العاص ـ بذكائه وعقله ـ: إذن تقع في الشغل ـ إذن تقع في الشغل».

ولاشك أن قول عمرو هو الصواب. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١]. كم نحب أن نسمع مثل هذه الكلمات. «إذن تقع في الشغل»؛ لأن القلب الذي امتلأ بالحسد والانتقام من الناس وتتبع زلاتهم، والتشفي منهم، قلب مشغول دائماً. أما القلب السليم الذي امتلأ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

بسلامة الصدر، وحب الناس وجمع القلوب، فهو لا يفكر إلا فيما ينفعه: كطلب علم، أو عمل خير، ونحوهما. أما أعراض الناس فهو بريء منها؛ لأنه يخاف الله.

الصورة السابعة:
(ما عرفني إلا أنت)

أيضاً موقف قصير ولكنه كبير بمعانيه، في سيرة سالم بن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ أن رجلاً زاحمه في منى ـ وأنتم تعلمون حال الناس في منى كيف يكون، وكيف تبلغ النفوس مبلغها في مثل هذه المواقف نظراً للزحام الشديد ـ أن رجلاً زاحمه في منى فالتفت الرجل إلى سالم ـ وسالم هذا علاَّمة التابعين ـ رضي الله عنه ـ فقال الرجل لسالم: إنني لأظنك رجل سُوءٍ. فبماذا أجاب سالم رضي الله عنه؟ قال كلمتين. قال: ما عرفني إلا أنت[1]. سبحان الله! هكذا كان إزراؤهم بأنفسهم ـ رضوان الله عليهم ـ مع سعة علمهم، وكثرة عبادتهم، وجهادهم، وكثرة خوفهم

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٩٠).

وبكائهم من الله جل وعلا، ـ أما نحن فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلو ركعنا ركعة، أو دمعة العين دمعة، لرأينا أنفسنا أزهد الزهاد لا إله إلا الله! «ما عرفني إلا أنت» رحمك الله يا سالم.

الصورة الثامنة:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[١]

ذكر الذهبي في السير[٢] في ترجمة البخاري محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح ـ رضي الله عنه ـ قال ـ أي الذهبي ـ وكان كثير من أصحابه يقولون له ـ أي للبخاري ـ: إن بعض الناس يقع فيك ـ لو قيلت هذه الكلمة لأحدنا ماذا سيقول؟! ربما يُبادر، ويقول مباشرة ماذا يقولون؟ ومتى؟ ومن هم؟ ـ أما الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ لما قيلت له هذه الكلمة (إن بعض الناس يقع فيك)، قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٣]، ويتلو أيضاً

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٦١/١٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[١]. هذا والله هو الفقه، وهذه هي البصيرة والحكمة، ولكن من يؤتى هذه البصيرة، ومن يؤتى هذه الحكمة؟! ولذلك إذا قلنا للناس تعلموا واقرؤوا في سير الرجال واستفيدوا منها. رأينا كثيراً منهم يعرض عن هذا، وما علم أولئك المساكين أن في النظر لحياة الأولين وتراجمهم حياة للقلوب. فإذا سمعت الناس يغتابونك، أو يذكرونك بسوء فأنت أعلم بنفسك، وأعلم بما بينك وبين الله جل وعلا. فاعف عنهم واصفح، وسترى أثر ذلك ومن كاد لك، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

فقال عبدالمجيد بن إبراهيم للبخاري: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟! فقال البخـاري: قـال النبي ﷺ: «**اصبروا حتـى تلقـوني على الحوض**»[٢]. وقال أيضاً وقال رسول الله ﷺ: «**من دعا على**

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.
(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٣٠) وأطرافه في (٧٢٤٥) ومسلم برقم =

ظالمه فقد انتصر»[١]. إنه ـ رحمه الله ـ لا يفكر بمجرد الدعاء على من ظلمه وبهته فضلاً على أن يشغل نفسه أو يضيع وقته في التقصي، وتتبع الزلات منهم. فرضي الله عن أولئك الأنقياء ورحمهم الله رحمة واسعة.

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٥٢) وضعفه الألباني في الجامع الصغير وعزاه إلى السلسلة الضعيفة له (٤٥٩٣).

الصورة التاسعة:

(إن كنت صادقاً فغفر الله لي)

ذكر الذهبي في السير[١] قال: عن أبي يعقوب المدني أنه قال: كان بين حسن بن حسن، وبين علي بن الحسين ـ يعني زين العابدين ـ بعض الأمر. فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين زين العابدين، وهو جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك حسن شيئاً إلا قاله له. ـ يعني ما ترك سباً ولا شتماً إلا قاله لزين العابدين وهو جالس مع أصحابه ـ قال ـ أي أبي يعقوب المدني ـ قال: وعليٌّ ساكت. فانصرف حسن. فلما كان من الليل أتاه في منزله. زين العابدين ـ ذهب إلى حسن بن حسن في الليل فقرع عليه بابه. فقال له:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٣٩٧) وعزاه محققه إلى تاريخ دمشق لابن عساكر.

يا أخي إن كنتَ صادقاً فيما قلتَ لي، فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، السلام عليكم.

هذا الموقف! وهل انتهى؟ لا، فانظر لنتيجة الصبر وحسن الخلق، قال: فإذا بالحسن يتبعه ويلزمه من الخلف، ويبكي بكاءً شديداً حتى رثى زين العابدين لحاله. فقال الحسن لزين العابدين: لا جرم لا عدتُ في أمر تكرهه فقال زين العابدين: وأنت في حل مما قلت لي.

إذا تشـــاجـــر في فـــؤادك مـــرة
أمـــران فـــاعمـــد لـــلأعـــف الأجمـــل
وإذا هممـــت بـــأمـــر سـوء فـــاتئـــد
وإذا هممـــت بـــأمـــر خير فـــافعـــل

إنه الصبر أيها الأحبة، إنه هضم النفس حتى ولو كان الحق معها، هكذا صفة الرجال وهكذا من أراد العلياء وعزة النفس.

طلقـــت تطليـــق الثـــلاث رغـــائبـــي
وكتبـــت للعليـــاء عقـــد نكـــاح

وانظر أيضاً لإنصاف الذهبي ـ رحمه الله تعالي ـ لابن حزم عندما ترجم له في السير(١). قال الذهبي عن ابن حزم: قد أخذ المنطق أبعده الله من علم، عن محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن فيه فزلزله في أشياء، ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره ولا أضلله وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه.

هكذا يكون المؤمن الذي يأتمر بأمر الله ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(٢). فهل سمع شبابنا مثل هذا الموقف، وهل اقتدى شبابنا غفر الله لنا ولهم بسلفنا الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ.

أيها الشباب، أيها المسلمون:

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

لا تبخسوا جهود بعضكم بعضاً، ولا تحقروا أعمال بعضكم لبعض، فكل منكم على ثغر، وكل منكم على خير، والميدان يتسع للجميع، بل هو بأمس الحاجة لكل عمل، لكل كلمة طيبة، لكل جهد وافق الكتاب والسنة. فهلا سمعنا وعقلنا.

وانظر لهذا الموقف أيضاً وتدبره جيداً، فكم نحن بحاجة إليه. قال الذهبي: قال الحافظ ابن عبدالبر في التمهيد: هذا كتبته من حفظي وغاب عن أصلي: أن عبدالله بن عبدالعزيز العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك: أن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فُتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد. فنشر العلم أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر(١).

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث (١٧١ ـ ١٨٠) ص ٣٢٩.

فياشباب الأمة:

نحن بحاجة للجميع، فهذا يحفظ القرآن ويعلمه، وهذا يطلب العلم وينشره، وهذا يعظ الناس في المساجد والقرى، وهذا ينكر المنكرات في الأسواق وفي الأماكن العامة، وهذا على منبره، وذاك بقلمه، والآخر بماله، وهذا بتوزيع الشريط والكتاب، وذلك بتوزيع الطعام واللباس، وهذا بالرحلات والمخيمات، وهذا بالدعوات الصادقات.

ولا يخلو الجميع أبداً من خطأ و«**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[1]. فهذا يصحح لهذا وهذا يوجه هذا، وهذا يعين هذا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مع التماس الأعذار والعفو والصفح. هكذا يجب أن نكون، وهكذا يجب أن نتعامل، بل يجب أن ننشر في مجالسنا ومنتدياتنا هذه المفاهيم لدى الكبار والصغار والرجال

---

(١) هذا حديث أخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٩) وأحمد (٣/١٩٨) وابن ماجه برقم (٤٢٥١) والدارمي (٢/٣٠٣) أربعتهم من حديث أنس، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وفي المشكاة.

والنساء ليَشْرَقَ أعداء الإسلام بتراص الصفوف وبجمع القلوب، وبتوحيد الكلمة.

فإن قال قائل: لا. فنقول: إن لم تكن من هؤلاء فقل خيراً أو اصمت. واعلم يا أخي الحبيب: «**أن المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[1]. فكف عن المسلمين لسانك ويدك، واتركهم يعملون، كلٌّ بما يستطيع، فالله جل وعلا مطلع على عباده، وهو وحده يعلم ما تكن القلوب.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠، ٦٤٨٤) ومسلم برقم (٤١) وأحمد (٢/ ١٦٣، ١٩٢، ٣/ ١٥٤) عن أنس، وعبدالله بن عمرو.

الصورة العاشرة والأخيرة:

(لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة)

قال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي: سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مائتي سنة. قال ابن مَهرَوَيه: فدخلت على عبدالرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل، فحدثته بهذا. فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتابُ من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية[1].

سبحان الله، والله إن العين لتدمع ونحن نقرأ مثل هذه المواقف. بكى رضي الله عنه وأرضاه لماذا؟ يقول الذهبي معلقاً على هذا الموقف: أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة، وإلا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله والذب عن السنة». ا.هـ

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٩٥).

وهذا مطلوب منه يؤجر عليه، ومع ذلك ترتعد يداه، ويبكي ـ رضي الله تعالى عنه ـ؛ لأنه تكلم في رجال لأمر واجب. فماذا نقول ونحن في المجلس، بل ربما في الساعة الواحدة نتكلم عن عشرات الناس. ماذا نقول ونحن نسمع كثيراً من إخواننا ـ عفا الله عنهم وغفر لهم ـ وما يذكرونه في كثير من المشايخ والعلماء وطلبة العلم والصالحين؟! سبحان الله ما وجدنا إلا هؤلاء نخوض في أعراضهم ونتكلم عنهم؟! أين أنت عن المنافقين، وأين أنت من اليهود ومن النصارى، وأين أنت من أعداء الدين الذين يكيدون للدين ليلاً ونهاراً.

رحم الله ابن المبارك يوم أن جاءه ذلك الرجل فذكر له قولاً في إخوانه. فقال له ابن المبارك: «عجباً سلم منك اليهود والنصارى، ولم يسلم منك إخوانك» كلمات تكتب بمداد الذهب.

وإذا كـــانـــت النفـــوس كبـــاراً
تعبـــت في مـــرادهـــا الأجســـامُ

● تكامل الشخصية في حياة السلف رضوان الله تعالى عليهم:

في العنصر السابق تكلمنا عن صور ومواقف متناثرة، وإليك في هذا العنصر وقفة سريعة لحياة عَلَمين فاضلين. فإذا نظرت لحياة هؤلاء الرجال وجدتها مدرسة في جميع الجوانب: في العلم، في الجهاد، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في العبادة، في الحرص على النوافل، في الخوف من الله، في الزهد، في الورع، في التواضع، في حسن الخلق، في كل شيء.

حدث بما شئت من حلم ومن كرم
وانثر مـآثـرهـم فـالبـاب متسـع

أما اليوم، فتعال وانظر لحالنا، فظاهرها الصلاح وقد نُحسب في القدوات والسادات، والله وحده أعلم بسرائرنا. نُعجب بأقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وانتصارنا لأنفسنا وتصدرنا وعُجبنا بذواتنا، وإذا وقفت مع حالنا مع النوافل والطاعات، أصابتك الحسرات والآهات، وقل مثل ذلك في

طلبنا للعلم، وفي أمرنا ونهينا للمنكر، وإهمالنا لقلوبنا، وحملنا على الآخرين وجرحهم ونبزهم، وأستغفر الله أن أعمـم، ولكـن كـل منـا أعلـم بنفسـه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١]، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٢].

أخي الحبيب:

تعال أقف وإياك للنظر في جانب سلامة الصدر فقط، وطهارة القلب في حياة هذين الرجلين في أكثر من موقف في حياتهما، إنهما: الإمامان أحمد بن حنبل، وابن تيمية - رحمهما الله تعالى - جميعاً. ففي حياتهما مَثَلٌ أعلى للعاملين، والدعاة المصلحين، والعباد المخلصين. فمع كثرة الأذى لهما والنيل منهما وسجنهما وجلدهما، والتعرض للفتن، بل وللتكفير والتفسيق والتبديع - عياذاً بالله - ومع ذلك كله فاقرأ وتفكر لتعرف مَنْ أنت أيها المسكين، اقرأ وصارح

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

نفسك وكن لها من الناصحين، فأنت إذا رماك أحد بتهمة ما تركت صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها في قائلك.

ذكر عبدالغني المقدسي في كتابه محنة الإمام أحمد[1] بسنده إلى أبي علي حنبل قال: حضرت أبا عبدالله ـ أي أحمد بن حنبل ـ وأتاه رجل في مسجدنا وكان الرجل حسن الهيئة كأنه كان مع السلطان. فجلس حتى انصرف من كان عند أبي عبدالله، ثم دنا منه؛ فرفعه أبوعبدالله لِمَا رأى من هيئته. فقال الرجل يا أبا عبدالله اجعلني في حل. قال أحمد: مِن ماذا؟! قال: كنت حاضراً يوم ضُربتَ وما أعنتُ وما تكلمتُ إلا أني حضرت ذلك. فأطرق أبوعبدالله، ثم رفع رأسه إليه، فقال: أحدث لله توبة ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف. فقال له: يا أبا عبدالله أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان. قال له أبوعبدالله: فأنت في حلٍّ وكل من ذكرني، إلا مبتدع. قال أبوعبدالله: وقد جعلت أبا إسحاق[2]. في

(١) محنة الإمام أحمد، لعبدالغني المقدسي ص ١٥٩ ـ ١٦٠.
(٢) أبو إسحاق: هو المعتصم خليفة المسلمين وقد أذن بضرب الإمام =

حل. ورأيت الله عز وجل يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]. وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قضية مسطح. ثم قال أبوعبدالله: العفو أفضل[2]. وما ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك، لكن لتعف وتصفح عنه، فيغفر الله لك كما وعدك».

أيهـــا الأخ:

إن سمعت أحداً قال فيك قولاً أو حتى آذاك، فلا شك أن النفس ببشريتها تغضب وتفكر في الانتقام، لكن اعلم أن صدق الأخلاق لا يظهر إلا في المواقف العصيبة الشديدة. أما في المواقف الهينة اللينة فلا فخر ولا فضل.

ساق المقدسي ـ رحمه الله ـ بسنده إلى أبي علي الحسين بن عبدالله الخرافي قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلة. فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح. فقلت: يا أبا عبدالله كثُر بكاؤك

= أحمد وتعذيبه.
(١) سورة النور، الآية: ٢٢.
(٢) وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢١.

الليلة، فما السبب؟ قال أحمد: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومرَّ بي في الدرس قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[1]. فسجدت وأحللته من ضربي في السجود»[2]. رحم الله الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة.

هكذا الإيمان يصنع الأعاجيب، فالقلوب المؤمنة التي تحب نشر الخير والإصلاح، لا تعرف الحقد والحسد والانتقام حتى وإن كانت مظلومة.

وذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة عن أبي محمد فوزان قال: جاء رجل إلى الإمام أحمد فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ فقال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك؟ قالها مراراً. فقال الرجل: إنه يتكلم فيك. فقال أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: رجل صالح ابتلي فينا

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) محنة الإمام أحمد ص ١٦٠.

فما نعمل؟![1].

وما أعجب مواقف الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ. اقرؤوا هذا الكتاب «محنة الإمام أحمد بن حنبل»[2] وانظروا مواقفه مع من عاداه، ومع من ضربه، ومع من سبه وشتمه. فرحم الله الإمام أحمد.

أضحى ابنُ حنبلَ محنةً مأمونةً
وبحبِّ أحمدَ يعرفُ المُتنسِّكُ
فإذا رأيتَ لأحمدَ مُتَنَقِّصاً
فاعلمْ بأنَّ ستورَهُ سَتُهْتَكُ[3]

ـ ومن مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ مع مخالفيه، بالرغم من إيذائهم له وتعديهم عليه بالباطل، إلا أنه لم يقابل ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ إلا بالإحسان. فها هو

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٧ قال: أبوكريب.

(٢) لعبدالغني المقدسي.

(٣) قالها ابن أعين كما في تاريخ دمشق، وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

يقول في الفتاوى: «وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها[١] وإقامة كل خير. وابن مخلوف[٢] لو عمل، مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي، مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين»[٣] ا.هـ

ويقول أيضاً في موضع آخر: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء أو عصبية جاهلية: فأنا لا أتعدى حدود الله فيه،

---

(١) يعني: في الفتنة التي حصلت فيه وقته.

(٢) ابن مخلوف هذا قال عنه شيخ الإسلام: هو عدوي. ولما بلغه أنّ الناس يترددون إلى ابن تيمية في سجنه قال ابن مخلوف عن ابن تيمية: يجب أن يضيق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره.
[الدرر الكامنة لابن حجر (١/١٥٦ ـ ١٥٧). البدر الطالع للشوكاني (١/٦٧)].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٧١).

بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس، حاكماً لما اختلفوا فيه.[١]

ويقول رحمه الله أيضاً: «فلا أحب أن يُنتصر من أحد بسبب كذبه عليّ أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم وإلا فحكم الله نافذ فيهم. فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله، لكنت أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، ولكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له»[٢] انتهى كلامه رحمه الله.

ويقول ابن القيم عن شيخه ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ:

---

(١) المصدر السابق (٣/٢٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٥).

«وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال ـ يعني سلامة الصدر وتنقية القلب والعفو عن الناس ـ من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ وكان بعض أصحابه الأكابر. يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد قط، بل كان يدعو لهم. وجئته يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم. وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ـ ونحو هذا من الكلام ـ فسُرُّوا ودعوا له وعظموا هذه الحال منه ـ رحمه الله ورضي الله عنه ـ.»[1]

ردد عليّ حـــديثهـــم يـــا حـــادي
فحـــديثهـــم يجلـــو الفـــؤاد الصـــادِي

هكذا هم رضوان الله تعالى عليهم في مواقفهم، وفي حياتهم، وفي أحوالهم مع من عاداهم، أو حتى كَفّرهم أو

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٥).

فَسّقهم أو بدّعهم أو آذاهم. هكذا تكون القلوب المؤمنة المتعلقة الخائفة الراجية من الله العفو والصفح، والتي تحب النصح للأمة وتنظر للدنيا أنها دار ممر لا دار مقر، هكذا العلم وأثره في القلوب المخلصة الصادقة نسأل الله الكريم من فضله.

أخيراً:

نتائج سلامة الصدر وآثاره

لو لم يكن من آثار سلامة الصدر وتنقية القلب إلا أنه سبب لدخول الجنة ـ كما ذكرنا في حديث أنس[1] لكفى، فإن سلامة الصدر من أعظم أسباب دخول الجنة.

قال ابن القيم: «وهاهنا للعبد أحد عشر مشهداً فيما يصيبه من أذى الخلق وجنايتهم.. ثم قال: المشهد الثالث: مشهد العفو والصفح والحِلم، فإنه متى شهد ذلك وفضله وحلاوته وعزته، لم يعدل عنه إلا لعشىً في بصيرته، فإنه «ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً» كما صح ذلك عن النبي ﷺ[2]. وعُلم بالتجربة والوجود، وما انتقم أحد لنفسه إلا

(١) وهو حديث «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة..» أخرجه أحمد وغيره وقد سبق.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) والترمذي برقم (٢٠٢٩) بلفظ =

ذل. هذا وفي العفو والصفح والحلم من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام»[1].

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى في المشهد السادس: مشهد السلامة وبرد القلب، وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو ألا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلي درك ثأره وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له وألذ وأطيب وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه، فيكون بذلك مغبوناً، والرشيد لا يرضى بذلك، وَيَرى أنه من تصرفات السفيه، فأينَ سلامة القلب مِن امتلائه بالغل والوسواس وإعمال الفكر في إدراك الانتقام»[2].

«رجلاً» كلاهما من حديث أبي هريرة.

(١) مدارج السالكين (٢/٣١٨، ٣١٩).

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٢٠.

ثم أثر آخر ونتيجة أخرى من نتائج تنقية القلب من الغل والحسد وهي: لو لم يكن في هذا القلب كما أشار ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلا الطمأنينة والأمن وراحة البال لصاحبه، لكفى به شرفاً ونتيجة. فصاحب القلب الخالي من الأحقاد والظنون يتفرغ لمصالحه وشئونه. قال زيد بن أسلم: «دُخل على أبي دجانة ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل له: ما لوجهك يتهلل. فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني. والأخرى: كان قلبي للمسلمين سليماً»[1].

ويقول سفيان بن دينار: قلت لأبي بشر وكان من أصحاب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أخبرني عن أعمال من كان قبلنا. قال: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً. قال: قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه هناد في كتاب الزهد (٢/ ٦٠٠) برقم (١٢٧٥).

وذكر ابن رجب في كتابه جامع العلوم[1]. قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: لم يدرك من عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥) رقم الحديث (٧) الرسالة.

الأسباب التي يجيء منها حقد القلب أو نفرته

أسباب امتلاء الصدر وغل القلب تنقسم قسمين: أسباب مباشرة، وأسباب غير مباشرة.

ـ **فمن الأسباب المباشرة**: وعلى رأسها الشيطان، فإن الفرقة والخلاف وملء الصدور بالشحناء وضيق الصدر غاية من غاياته. كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب المنافقين باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً ـ من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[1]. ـ أي بالخصومات بالشحناء والحروب والفتن وغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢) وأحمد (٣/٣١٣، ٥/٧٣) والترمذي برقم (١٩٣٧).

ومن نظر لحال المسلمين اليوم، عرف كيف يكون التحريش من الشيطان.

وسبب ثان مباشر وهو: أمراض القلوب بأنواعها بدءاً بسوء الظن والنجوى والحسد والغرور والهوى وحب التصدر وغيرها. وجماع ذلك: الغفلة عن القلب وإهماله.

ونشكو إلى الله حالنا مع قلوبنا وإطلاق العنان لها. فإننا نهتم بمظهرنا ومركبنا وأكلنا وشربنا، ونغفل كثيراً عن قلوبنا فتجتمع عليها النكت نكتة نكتة حتى يصبح القلب أسودَ مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً[1] ـ والعياذ بالله ـ.

فخذ مثلاً، سوء الظن وهو: ترجيح ما يخطر في النفس من احتمال السوء. ويبدأ سوء الظن بخاطرة تنقدح في الذهن ثم لايزال الشيطان ينفخ فيها حتى يُنزلها منزلة الحقيقة فنقول مثلاً: فلان يريد كذا، ويقصد من كلامه كذا

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١٤٤) وأحمد (٥/٣٨٦، ٤٠٥).

فدخلنا في النوايا والمقاصد.

وما أجمل قول محمد بن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا بلغك عن أخيك شيء، فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له فقل: لعل له عذراً لا أعلمه[1].

ـ **أما الأسباب غير المباشرة:**

أولاً: الاختلاف في وجهات النظر وطريقة سير العمل.

فقد يؤدي الخلاف في الآراء، والتصورات إلى اختلاف القلوب وجفوتها وامتلائها بالشحناء، فليس شرطاً أخي الحبيب: أن يوافقك الناس بكل ما تريد. فإما أن توافقني وإلا فأنت عدوي، وأنت معي، وإلا فأنت ضدي.

ذكر الذهبي في السير قال: قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة[2].

---

(١) التوبيخ والتنبيه للأصبهاني ص ١٢٨ رقم (٩٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/١٦) وعزاه المحقق إلى تاريخ ابن =

انظروا للنفوس ألا يسعنا ما وسعهم؟!

وقال أحمد بن حفص السعدي شيخ ابن عدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس مازال يخالف بعضهم بعضاً[1]. هكذا كانوا ـ رحمهم الله تعالى ـ إذاً فالخلاف في المسألة الفرعية لا يفسد للود قضية أبداً. فقد كان يعذر بعضهم بعضاً فيقول: لعل له تأويلاً، ويقول: لعل ذلك الحديث لم يبلغه. أو لم يصله أو غير ذلك من الأعذار[2].

قال الذهبي في السير: «مازال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً، ويرد هذا على هذا، ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل.

= عساكر.

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٧١ واقرأ تعليق المحقق على القصة وانظر «النصيحة والتعيير» لابن رجب ص ٣١.

(٢) انظر ـ إن شئت ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ثانياً: التنافس. ولاشك أن التنافس أمرٌ محمودٌ، لكنه قد يتعدى إلى الحسد والغل على الآخرين خاصة بين الأقران. ولذلك يقول الذهبي: «استفق ويحك وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب وقع فيه سادة فرحم الله الجميع». ويقول أيضاً: «كلام الأقران يُطوى، ولا يُروى». ويقول أيضاً: «كلام الأقران بعضهم في بعض يُحتمل، وطيه أولى من بثه، إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم»[1].

ليس هذا الكلام على إطلاقه، فهناك من الأقران من يهتم بقرينه، بل ويفضله على نفسه، فهذا هشام بن يوسف يقول: كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا[2].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠ـ٤١، ١٤٣ وَ ١٠/ ٩٢ـ٩٤ وَ ١٢/ ٥٠٠ـ٥٠١ وَ ١٤/ ٤٢) وميزان الاعتدال (١/ ١١١) وللاستزادة انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ١٥١ـ١٥٦).

(٢) تهذيب الكمال للمزي (١٨/ ٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٦).

فهذه صورة جميلة لحال الأقران المنصفين بل وهناك صور كثيرة، ولله الحمد والمنة.

ثالثاً: التناصح! وكيف يكون التناصح سبباً للحسد والحقد؟! فبعض الناس لايحتمل النصيحة، فيبدأ بالكيد للناصح والتفتيش عن عيوبه وبثها. مع أنك حرصت على أن تكون الوسيلة صحيحة: بانفراد، وبينك وبينه، وبالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، ومع ذلك وَجَدَ في نفسه شيئاً عليك، ولايزال يتحرى ويبحث عن أخطائك؛ حتى يرد الصاع صاعين كما يقال.

رابعاً: التجارة والبيع والشراء والتعامل مع الآخرين. **«ورحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى وإذا اقتضى»**[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٠٧٦).

كيف السبيل لسلامة الصدر

أولاً: أن تدعو الله بصدق وإلحاح أن يرزقك قلباً سليماً محباً للآخرين. فقد كان من دعائه ﷺ: «**اللهم إني أسألك قلباً سليماً**»[(١)] . وردد يا أخي الحبيب ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[(٢)] .

واسأل الله حسن الخلق.. فإن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»[(٣)] وما وصل أولئك الرجال إلى ما

---

(١) رواه النسائي (١٣٠٤) والترمذي (٣٤٠٧) وأحمد (٤/ ١٢٣، ١٢٥) عن شداد بن أوس بلفظ «اللهم أني أسألك الثبات في الأمر.. وأسألك قلباً سليماً».

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه أبوداود برقم (٤٧٩٧) وأحمد ٦/ ٩٤، ٩٠ (١٨٧) والحاكم ١/ ٦٠ وابن حبان (٤٨٠) عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن عائشة بلفظ: (إن المؤمن ليدرك بحسن الخلقة درجة =

وصلوا إليه إلا بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة. كما ذكرنا آنفاً. فاحرص على الدعاء لإخوانك. وما أجمل العفو. فقل قبل منامك: اللهم إني قد عفوت عنه لوجهك الكريم، ما أجمل أن تردد هذه الكلمات في نفسك كل ليلة. فإذا نمت، نمت بقلب سليم وإذا مت، متَّ بقلب سليم. ثم أتبع هذه الكلمات بقولك: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[(١)] . أسألك بالله يا أخي الحبيب هل ستكون أحلم من الله جل وعلا فكما عفوت أنت عن خلقه فسيعفوا الله عنك إن شاء الله. ثقة بالله. فالله أحلم وأعظم وأكرم. فاعف عن عباد الله يعف

= الصائم القائم) وصححه الألباني في السلسلة (٧٩٥). وهو منقطع. قال أبو حاتم عن المطلب: «روايته عن عائشة مرسلة ولم يدركها».

(١) هذا ما أرشد إليه النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها عندما سألته قائلة: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي: اللهم...» أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٣) وابن ماجه برقم (٣٨٥٠) وأحمد (٦/ ١٨٣، ٢٥٨).

الله عنك، طهر قلبك من الحقد والغل على الآخرين، تجد أن الله سبحانه وتعالى يحفظك ويوفقك ويُعلي درجتك.

ثانياً: احذر الغفلة عن القلب وراقبه مراقبة جيدة. واعلم أن تنقية القلب من الغل والحقد يحتاج إلى ترويض نفس، وطول مجاهدة ومراقبة. فإذا وجدت في قلبك على أحد، فابحث عن الأسباب، وصارح نفسك، ولا تستجب لباعث الهوى فيها. وعليك بهضم النفس، وأسأل الله العون والتوفيق.

ثالثاً: أحسن الظن بالآخرين، والتمس لهم الأعذار. فإن لم تجد فقل لعل لأخي عذراً لا أعلمه.

قيل إن أبا إسحاق نزع عمامته يوماً وكانت بعشرين ديناراً وتوضأ في دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها وما شعر حتى سألوه وهو يدرس في درسه؟ فقال: لعل الذي أخذها محتاج!

أولئــك آبــائــي فجئنــي بمثلهــم
إذا جمعتْنــا يــاجــريــرُ المجــامِــعُ

رابعاً: الصبر والتحمل. فإن الاحتمال مقبرة المتاعب، وتمثل قول الشاعر:

إذا أدمــت قــوارصكــم فــؤادي
صبرتُ على أذاكــم وانطــويــتُ
وجئــت إليكــم طلــق المحيــا
كــأني مــا سمعــتُ ولا رأيــتُ

خــامســاً: العفــو والصفــح ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]. ومن علامته كما ذكرنا الدعاء لإخوانك خاصة من كان بينك وبينه جفوة أو شحناء. حاول أن تدعو له، مع أنني أعلم أن هذا لا يطاق. لكن جرب، وحاول أن تدعو لإخوانك، وأرغم نفسك والشيطان على الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة والتوفيق والهداية. وكما يقول عبدالله بن أحمد: ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم[2].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٢) انظر أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٣)، ومناقب الإمام أحمد لابن =

وإني لأعجب أن ينام المسلم مِلء جفنيه وبينه وبين أخيه شحناء أو جفوة، وقد تأتيه المنية تلك الليلة، وما أجمل قول المقنع الكندي:

وإن الـــــذي بينـــــي وبين بنـــــي أبي
وبين بنـــي عمـــي لمختلـــف جـــداً
فـــإن أكلـــوا لحمـــي وفـــرت لحـــومهـــم
وإن هـــدمـــوا مجـــدي بنيـــت لهـــم مجـــداً
وإن ضيعـــوا غيبـــي حفظـــت غيـــوبهـــم
وإن هـــم هـــووا غيي هـــويـــت لهـــم رشـــداً
ولا أحمـــل الحقـــد القـــديـــم عليهـــم
وليـــس كـــريـــم القـــوم مـــن يحمـــل الحقـــدا

الجوزي ص ٢٨٦، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٢٥٤).

ثلاثة قبل النهاية

أولاً: إن ما تقدم لا يعني أننا ننهى عن تصحيح الأخطاء وتقويم الآراء، ونأمر بالتغاضي عن الزلات وعدم التنبيه عليها وتقويم الآراء، بل إننا نطالب بذلك، ولكن بالضوابط الشرعية المقدرة عند سلفنا الصالح وعلمائنا الأفاضل رحمهم الله. وليكن القصد الوصول للحق، لا الانتصار للنفس والهوى.

ثانياً: هذا الموضوع رسالة إليكم جميعاً، وإلى العلماء، وإلى طلاب العلم، والمدرسين، والآباء والمربين، وجميع من يعنيهم الأمر. فلنحرص على تربية الشباب وتربية الأجيال، وتربية النفوس على صفاء النفس وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وصدق العمل، وإخلاص النية لله فيه. وإن أهم أساليب التربية هي القدوة الحسنة.

ثالثاً: إن هذا الموضوع دعوة عامة لطهارة القلب وسلامة الصدر، وصفاء النفس فهو أمانة عند كل من قرأه، لنشره

وبثه بين الناس في جميع طبقاتهم ومختلف أحوالهم، لننشر مثل هذا الموضوع، ولنتحدث عنه كثيراً؛ ليحصل الحب والمودة وجمع القلوب، وتوحيد الكلمة بين المسلمين، فَيَشْرِقَ بذلك أعداء الإسلام من المنافقين وغيرهم.

فبادر بنشره، وليكن حديث مجالسنا ومدارسنا وأسواقنا، ورب مبلَّغ أوعى من سامع.

اللهم إني بلغت اللهم فاشهد، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

هذا ما كتبت يميني فما كان فيه من صواب فمن الله فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي الضعيفة وأستغفر الله منه وأتوب إليه.

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهرس